الفصل الثاني

الإسلام في أمريكا

obeikan.com

obeikan.com

الإسلام في التاريخ الأمريكي

■ ■ ■

للإسلام حضور مبكر في التاريخ الأمريكي، فمعروف الآن بين المؤرخين أن قرابة نصف الأرقاء الذين جلبوا من غرب إفريقيا إبان تجارة الرقيق في القرون السادس والسابع والثامن عشر كانوا مسلمين، وبالتالي حسب ما يذكره الكاتبان ضيوف ولو، فإنّ هذه الخلفية الديموغرافية قد بسطت الأرضية الخصبة التي جذبت ومازالت تجذب آلاف الأمريكيين السود إلى الإسلام.[1] وكذلك معلوم أنّ بعض رواد فكرة الاستقلال في أمريكا وبعض فلاسفتها مثل توماس جفيرسون كانوا على دراية واتصال بالثقافة الإسلامية وأفكارها تجاه التحرر والحرية والدولة. وجدير بالذكر أيضا أنّ أول شخص يعلن إسلامه علنا في هذه البلاد بل ويحافظ على منصبه كدبلوماسي، وعلى توجهه العقدي كداعية، كان أمريكيا أبيضا يسمي ألكسندر رسل ويب «Alexander Russell Webb» عام ١٨٧٩، وكان مندوبا ممثلا للدولة الأمريكية في مدينة مانيلا في الفيليبين حين اعتنق الإسلام. ثمّ رجع إلى نيويورك حيث أسس مسجدا واشتغل بالدعوة.[2]

وليس صحيحا القول بأنّ دخول الإسلام في أمريكا مرتبط بالهجرة العربية فهناك ثلاث موجات للهجرة العربية إلى أمريكا كما أسلفنا في المقدمة:

الموجة الأولى: في نهائيات القرن العشرين، وكان معظمهم من منطقة سورية ولبنان وكان جلهم مسيحيين، وليست هناك أدلة تثبت أنّ لهم أثرا في نشر الإسلام

(1) Mbaye Lo, Muslims in America: Race, Politics and Community Building. Maryland: Amana Publications, 2004 & Sylviane Diouf, Servant of Allah: African Muslims Enslaved in Americas. New York University Press, 1998.
(2) Emory Tunison, «Mohammad Webb: First American Muslim.» In Arab World. Volume: 1, No. 3. Pp. 5 + .

ولا التبشير بثقافته العربية في بلد المهجر.

الموجة الثانية: وصلت في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبالأخصّ بعد تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وكان معظمهم من الفلسطينيين أصحاب الحرف والمكانة الاجتماعية.

أمّا الموجة الثالثة والكبيرة: فجاءت بعد عام ١٩٧٠ حيث تبنت الولايات المتحدة قانون الهجرة والتي فتح باب الهجرة على مصراعيها ولم تكد مقتصرة على دول الغرب التقليدية الأوربية. وقد وفد معظم هؤلاء من فلسطين، مصر وسوريا، وكانوا أقلّ شأنا من سابقيهم من حيث المستوى التعليمي والخلفية الطبقية. وإلى هذه المجموعات يعزى انتشار الإسلام ومذهبه السني في أوساط الأمريكان وبالأخص وسط الأفروأمريكان الذين زاوجوا بسهولة بين خلفيتهم التراثية المسلمة وبين التعليمات الجديدة في المساجد التي أنشأها المهاجرون الجدد، فلذلك نجد أنّ ٨٥٪ في المائة من الأمريكان الذين يعتنقون الإسلام حسب دراسات استيفن باربوزا عام ١٩٩٢، هم أفروأمريكان (الأمريكان السودان).[١] وفي دراسة إحسان باكبي عام ٢٠٠١ ثبت نفس النسب المئوية العالية من تحول الأفروأمريكيين إلى الإسلام أكثر من غيرهم من الأمريكان.[٢]

الحضور الإسلامي في أمريكا :

يعزى النمو الإسلامي في أمريكا في الآونة الأخيرة إلى عدة أسباب أهمها الهجرة من العالم الإسلامي، و بصفة خاصة من شبه الجزيرة الهنديّة – الهند –باكستان، بنغلاديش وكذلك العالم العربي والإفريقي. ويلي ذلك في الأهمية، التحول الديني من المسيحية أو اليهودية إلى الإسلام، وفي المرتبة الثالثة يأتي النمو الطبيعي للمسلمين.

(1) Steven Barboza, American Jihad: Islam After Malcolm X. New York: Doubleday. 1995.
(2) Ihsan Bagbi et al. The Mosque in America: A National Portrait. Washington, DC: Council on American-Islamic Relations, 2001.

الهجرة من شبه الجزيرة الهندية

■ ■ ■

هذه الهجرة لها تداعيات عميقة من حيث ديموغرافية المسلمين، ومن حيث مؤسسات الإسلام في أمريكا، فقد نمت الهجرات من الهند وباكستان بصفة خاصة في السبعينات ومع وجود عداء منتظم بين البلدين، تداخلت وتزاوجت الجاليتان المسلمتين على الساحة الأمريكية؛ ففي التعداد الرسمي بين عام ١٩٤٦ وعام ١٩٦٥ سجلت دفاتر الهجرة ألفين وخمسمائة مهاجرا باكستانيا كانوا في الغالب طلابا اختاروا البقاء في البلد بعد انتهاء دراساتهم، ثم حدثت طفرة في العدد بعد أن عدل قانون الهجرة الأمريكي عام ١٩٦٥ حين وقع الرئيس ليندون جونسون (Lyndon Johnson)، قانون تعديل الهجرة الجديد. وأصبح قانونا ساريا مغزاه أن تكون فرص الهجرة إلى الولايات المتحدة قائمة على نسب معينة لكل بلد، بعكس القانون القديم الذي كان يفضل الهجرة الأوروبيّة والأجناس البيضاء على غيرهم من الشعوب الملوّنة.(١)

وبحلول عام ١٩٩٠ وصلت أعداد الباكستانيين الذي قطنوا الولايات المتحدة إلى مائة ألف شخص ثمّ إلى مائتين وعشرة آلاف شخص بحلول عام ٢٠٠٥.(٢) هذا بغض النظر عن نسل المهاجرين وأحفادهم. وبالنسبة للهجرة الإسلامية من الهند، فليس سهلا تمييزها من الهجرة الهندية الضخمة إلى الولايات المتحدة؛ لأنّ تعداد السكان في الولايات المتحدة لا يستخدم عامل الدين في معرفة الخلفيات العرقيّة، بل يقتصر على عوامل العرق، موطن الولادة وهلم جرا.. وإن كان معظم

(1) Michael Lemay and Elliott Robert Barkan, editors., U.S. Immigration and Naturalization Laws and Issues: A Documentary History Greenwood Press, 1999.
(2) US Demographic Census, 2006; p. 11-17.

الهنود هاجروا مباشرة من الهند، فهناك عدد كبير جاءوا من المهاجر الهندية الأخرى مثل جنوب إفريقيا، سنغافورة، جاميكا، أوغندا، تنزانيا الخ.. وقد وصل عددهم إلى مليونين ونصف عام ٢٠٠٧م.[١]

أما الهجرة من بنغلاديش فقد كانت ظاهرة بعد انفصال بنغلاديش من باكستان عام ١٩٧١م إلى عام ١٩٨٠. وحسب التعداد الرسمي لسكان الولايات المتحدة، كان هناك حوالي ستين ألف شخص من أصل بنغلاديش عام ٢٠٠٠. وعموما يمتاز المهاجرون من شبه الجزيرة الهندية باستثناء بنغلاديش بالتعليم العالي والقدرة على إحراز تقدم ملموس في الهرم الاقتصادي الأمريكي. وكذلك تميز هؤلاء المهاجرون بالمحافظة والطبقية الاجتماعية وهي من رواسب المجتمع الطبقي الهندي. وفي ذلك كتب الكاتب الهندي-الباكستاني الأصل، ديكولا كورشي، واصفا مسلمي شبه الجزيرة الهندية بأنهم «يتميزون بسيطرة طبقة برجوازية اجتماعية متشابكة في أيديولوجيتها الطبقية ومعاملاتها الدينية.»[٢].

وقد انعكست هذه السمات الاجتماعية على نزعة هذه المجموعة إلى تأسيس مؤسسات ومنظمات إسلامية تعبر عن انتماءاتهم الدينية العرقية. فإليهم يعزى تأسيس الجمعية الإسلامية لأميركا الشمالية (ISNA)The Islamic Society of North America وكذلك الدائرة الإسلامية لأميركا الشمالية (ICNA) The Islamic Circle of North America. وهاتان المؤسستان تعتبران من أكبر المنظمات الإسلامية في شمال أمريكا.

وترجع بدايات المؤسسة إلى عام ١٩٦٣ وتأسيس ISNA بوضعها الحالي إلى عام ١٩٨٠؛ والمنظمة اليوم عبارة عن مظلة لعدد كبير من المنظمات الإسلامية في أمريكا

(1) The Americar Community Survey of US Census, 2007 .
(2) Regula B. Qureshi and Saleem Qureshi, «Pakistani Canadians: the Making of a Muslim Community.» In The Muslim Community in North America. Edited by Earl Waugh et al. The University of Alberta Press, 1983, p. 132.

وكندا. وتعتبر أكبر منظمة إسلامية في المنطقة، وحسب تقديراتها الرسميّة، يصل الحضور السنوي لمؤتمره إلى عشرات الآلاف. وتتمتّع بإصدارة نصف شهرية معروفة بـIslamic Horizons ، كما أنها توفر خدمات أخرى للجالية الإسلامية مثل الزواج، والإجابة على المسائل الفقهية والقانونية، كما أنّ معظم المساجد التي يبنيها المهاجرون في أمريكا يوضع تحت نظام الوقف الإسلامي باسم ISNA سدا للذريعة ومنعا للنزاع على ملكيّة المساجد بين الجاليات المسلمة، ومقر ISNA في ولاية إنديانا.

وأما ICNA فقد بدأت كمؤسسة باكستانية للناطقين باللغة الأردية عام ١٩٧٠، وبحلول عام ١٩٨٠ عدل دستور المؤسسة لتضم المسلمين غير المنحدرين من أصول باكستانية، وهي اليوم ثاني أكبر منظمة إسلامية في المنطقة بعد ISNA ولها أيضا إصدارات وبرامج إقليمية.

وفي التسعينات قامت هذه الجالية بتأسيس كثير من المنظمات الإسلامية الحرفيّة مثل منظمة الأطباء المسلمين IMA، منظمة المسلمين المهتمين بالدراسات الإسلامية الاجتماعية AMSS، ومنظمة الباحثين والمهندسين المسلمين الخ.. غير أن معظم هذه المؤسسات الحرفية اختفت عقب أحداث ١١ سبتمبر، وانتقال الحرب على الإرهاب إلى عقر الدار الباكستاني. وإلى هذه الجالية أيضا يرجع سبب بناء عدد كبير من المساجد في أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية. فقد ساهمت قدراتهم المالية وتعاضدهم الاجتماعي في تأسيس المساجد وبنائها ممّا خلق أيضا جوا جديدا للمعمار الإسلامي في الشمال الأمريكي.

المسلمون المهاجرون من العالم العربي

■ ■ ■

إضافة إلى ما سردنا من أخبار الهجرة العربية، كذلك وصلت إلى الولايات المتحدة أعداد كبيرة من الفلسطينيين بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٥ وبالأخصّ في مدن ديتروي، كليفلاند ونيويورك. كانوا عموما أقل تعليما من نظرائهم الذين جاؤوا من دول عربية أخرى، لكنّهم نجحوا في التجارة على المستويات المحلية. ففي مدن كثيرة مثل كليفلاند في أوهايو ودي ترويت في ميشيغان وكلومبوس في أوهايو تستحوذ الجاليات الفلسطينية على كثير من القطاع التجاري في الأحياء الفقيرة.(١)

والجاليات العربية كانت أقل إقبالا على نشر المؤسسات الإسلامية إذا قورنوا بنظرائهم المنحدرين من شبه الجزيرة الهندية. فبينما يتبادر مسلمو الهند و باكستان إلى تأسيس مسجد كمحور لحياتهم الثقافية مهما قلّت أعدادهم في منطقة معينة، لا توجد لدينا شواهد تاريخية مطردة بأنّ الهجرة العربيّة عملت نفس الشيء عقب وصولها إلى أرض المهجر الشمالي. فأدبيات المسلمين السود الأمريكان تصور العرب كأنهم كانوا مصدر سخرية لهم في نضالهم لفهم الإسلام، بينما الهندوباك، وهو المصطلح الشوارعي المطلق على المسلمين المنحدرين من باكستان والهند، كانوا مصدر دعم مالي وإن آخذوهم على رفضهم التزاوج معهم.(٢)

ومثال آخر في هذه النقطة هو أنّ موسوعية تاريخ مدينة كليفلاند بولاية أوهايو، حيث ظهرت الجاليات الإسلامية والعربية الأولى، يبدأ تاريخ مجيء العرب إلى المدينة بعام ١٨٩٥ وفي نفس الإطار بدأ تاريخ ظهور الإسلام في المدينة بحوالي عام ١٩٢٠

(1) Cleveland Plain Dealer, January 3, 1999.
(2) Sonsyrea Tate, Little X: Growing Up in the Nation of Islam. New York: Harper Collins Publishers, 1997.

وهذا الأخير هو العقد الذي ظهرت فيها الدعوة الأحمدية في المنطقة.[١] وكلّ الشواهد والحكايات الشعبية تربط بدايات الإسلام في المنطقة بمجيء البعثات الأحمديّة من شبه الجزيرة الهندية، و ليس بمجيء العرب الذين وصلوا قبلهم بأجيال.[٢]

قد أثبتت دراساتي الميدانية للجاليات الإسلامية في مدينة كليفلاند أن الجالية العربية كانت آخر من أوجدت لها دارا للعبادة، وأقصد هنا، مسجدا وذلك بعد حركة الأحمديّة والمسلمين من أصول أفرو أمريكان.[٣] وقد يرجع تباطؤ الجالية العربية الأولى في بناء دور العبادة أنّ المسلمين منهم كانوا أقلية في وجه الهجرة المسيحية من منطقة سوريا العظمي – الشام الذين سارعوا إلى بناء كنائس لهم في مهاجرهم الجديدة، كما أشار إلي انتشار هذه الكنائس العربية بعض الدراسات.[٤]

وسبب آخر هو الفقه السائد آنذاك في العالم العربي قبل الستينات. كان هذا الفقه الإسلامي قائما على اعتبار هذه المناطق في الغرب دار كفر لا يليق للمسلم اتخاذها سكنا له، وأن الإقامة فيها يجب أن تكون مؤقتا. – ولذلك لم يعن المهاجرون الأوائل من العالم العربي بتشييد مساجدهم في المهاجر الجديدة بل كانوا في أكثر الأحايين يصلون الجمعة في البيوت والنوادي. والطلاب منهم شيّدوا منظمة الطلاب المسلمين MSA التي يعتبر اليوم من أوسع المنظمات الطلابية في أمريكا.[٥] ومع

(1) Encyclopedia of Cleveland History. Edited by D. Van. Tassed and John Grabowski. Indiana University Press, 1987, p. 39.
(2) Islam. New York: Oxford U. 022 Robert Dannin, Black Pilgrimage to
(3) Mbaye Lo, Muslims in America: Race, Politics and Community Building. Amana Publications, 2004.
(4) Marry Haddad Macron, Arab American and Their Communities of Cleveland. Cleveland State University, 1978, p. 221-238.
(٥) لقد حكى لي الشيخ صالح نواش ، إمام و مؤسس مسجد إسلام في مدينة كليفلاند بولاية أوهايو، أن شيخ قريته في فلسطين أوصاه ألا يتخذ الغرب موطنا له، و ذلك في الستينات أثناء استعداده للهجرة إلى الولايات المتحدة. و نفس هذه الصورة يقرؤها المرء في كتابات الدكتور طه حسين و خاصة في كتابه «الأيام».

وجود فروع ثابتة لها قبل عام ١٩٦٣ فإنّ MSA الأمّ تأسس في هذا العام بغرض خدمة الطلاب المهاجرين المسلمين المقيمين في الولايات المتحدة وكندا وإليه ترجع فكرة تأسيس ISNA.

ومن الناحية التاريخيّة، يحسن التبيين بأنه كانت زمرة المؤسسين الذين ائتمروا في جامعة (University of Illinois, Urbana-Champaign) لتأسيس MSA من الحركيين المنتسبين إلى حركة الإخوان المسمين في بلادهم وبالأخص في مصر، المغرب، والشام. وقد وجدوا دعما من منظمة رابطة العالم الإسلامي حينها. بيد أنّ هؤلاء العرب المسلمين لم يكن من أغراضهم نشر الإسلام حيث اقتصروا أهدافهم في تسهيل متطلبات العبادة والإقامة للطلاب المسلمين، وتسهيل تواصلهم مع الحركات الإسلامية في بلادهم.[1] غير أنّ تزايد الهجرة الفلسطينيّة غيّر اتجاه العزلة في المهاجر العربية بصفة أساسية.

فقد ساهم رأسمال هؤلاء المهاجرين الجدد وبالأخص الفلسطينيين منهم في تشييد الكثير من المساجد، كما أنهم أيضا ساهموا في تقريب الجاليتين العربية والهندوباكية في إدارة المساجد وتوسيعها وترميم جاليات إسلامية تربط بينها الثقافة الإسلامية والمسجد بدلا من أن يكونوا جاليات مسلمة يجمعها العرق والخلفية الثقافية الإثنية المشتركة. ومن هناك توسعت إدارة المؤسسات المظلية مثل ISNA وICNA لتضم عربا في هيئاتها التنفيذية كما ظهرت مساجد كبيرة ذات طابع إقليمي يجتمع في إدارتها المسلمون بمختلف خلفياتهم من بلد الأم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التغيير البنيوي أيضا أثر في تشكيل خطاب المساجد. فبينما كان الخطاب يقتصر على هموم المسلمين في كشمير فقد أصبح موضوع فلسطين طرفا أساسيّا من صميم خطاب المسجد بحيث أنّ مواضيع تحرير

(1) Karen Leonard, Muslims in the United States: the State of Research. New York: Russell Sage Foundation, 2003.

القدس والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين تحتل حيزا واسعا من ساحة المسجد الأمريكي، وبالتالي من هموم المسلم الأمريكي. ولذلك ليس مخفيا أنه قبل هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كانت هاتان الجاليتان العربيّة و الهندوباكيّة تهيمنان على مقاعد القيادة في معظم المؤسسات القطرية التي ناقشناها من قبل مع وجود حضور هامشي للمسلمين من خلفيات أخرى.

ولنُبرْهن على زعمنا هذا، نذكر أنّ جل المكاتب الفرعيّة التي فتحتها ISNA بعد هجمات ١١ سبتمبر تولى الزعامة فيها مسلمون من غير العرب و من غير الهندوباك. فمعظم هذه القيادة الناشئة جاؤوا من المسلمين البيض والسود. وعلى المستوى القومي ظهرت قيادات من السود مثل سراج وهّاج من مدينة نيويورك، و أستاذ شيرمان جاكسون من جامعة ميشيغان، والشيخان زيد شاكر وحمزة يوسف والأخير أبيض الأصل، وكلاهما أمريكي الأصل من معهد زيتونة في ولاية كاليفورنيا.

وفي هذا الإطار أيضا نذكر أنّه في عام ٢٠٠١ عيّنت منظمة ISNA الأستاذة إنجريد ماتسون Ingrid Mattson نائبة لرئيسها، ثمّ عينتها رئيسة للمنظمة عام ٢٠٠٦. و لأول مرة في تاريخ المنظمة تقودها امرأة أو بالأحرى نقول، يقودها شخص من الذين لم يولدوا في الإسلام (أعني اعتنقوا الإسلام).

المسلمون الأمريكيو الأصل

■ ■ ■

عموما نقول : إنّ المسلمين الأمريكيي الأصل ينقسمون إلى قسمين: السود، ويمثلون حوالي ٨٠ في المائة من هذه الجالية والبيض وهم قرابة عشرة في المائة، وهناك أقليّة أخرى من المجموعات الاسبانيّة. معظم البيض الذين اعتنقوا الإسلام جاؤوا إليه عبر الطرق الصوفية الإفريقية أم التركية والمغربية. وكذلك أثبتت الدراسات أن كثيرين من البيض تعرفوا على الإسلام خلال دراساتهم في الجامعات أو أثناء سفرهم في العالم الإسلامي. أمّا السود فلهم قصة طويلة مع الإسلام، فقد أثبتت دراسة سلفيان ضيوف أن قرابة أربعين في المائة من الأرقاء الذين جلبوا من إفريقيا إلى أمريكا أثناء القرون السابع والثامن والتاسع عشرة كانوا مسلمين.[١]

وكذلك ظهرت عدّة دراسات تبيّن أنّ هذا الإرث الإسلامي لم يصل إلى الأجيال الجديدة حيث اجتذب من هؤلاء دينهم بالقوة والقهر أو التبشير. وقد استرسلت دراسة الأستاذ ألين أوستان (Allan Austin) في تحليل أسباب اضمحلال الإسلام بين السود الأرقاء، كما وضح أنّ هذا الإحساس قد شكل سهولة ظهور الحركات البانأفريكان الإسلامية بين السود في بدايات القرن العشرين وكانت في مقدمتها حركة أمّة الإسلام (Nation of Islam) وحركة معبد المور العلمي الأمريكي (Moorish Science Temple of America) وكلتاهما وجدتا رواجا واسعا بين السود كما أنهما مزجتا الإسلام الذي اتخذتاه كالدين الرسمي لمنظمتيهما بمفاهيم فلسفة أفضلية السود علي البيض.[٢]

(1) Sylviane Diouf, Servants of Allah: African Muslims Enslaved in the Americas. New York University Press, 1998.
(2) Allan Austin. African Muslims in Antebellum America. New York: Gardland Publishing. 1984.

ومهما يقال في هذا المجال الخصب كميدان للبحث، ومهما يعتقد من خروج أمة الإسلام (The Nation of Islam) من تعاليم الإسلام السمحة بدعوتها التعصبية ضدّ البيض، فإن الدراسات الحديثة أثبتت أن الإسلام في أمريكا استفاد من حركات السود البانأفريكانيّة لتوسيع رقعته الثقافيّة وتصديع قفص الحدّ من المشاركة الشعبية في عملية الانتخاب السياسي. وبالأخص، فإن دراسات الأستاذ شيرمان جاكسون (Sherman Jackson) لم تترك مجالا للشكّ في أنّ وجود المسلمين السود في أمريكا منذ باكورة القرن الماضي أعطى الإسلام طعما محليا، وأكسبه غطاء أمريكيا ظل لآماد يربط الإسلام في عيون الشارع الأمريكي بأبطال أمريكا مثل مالكوم إكس، وبطل الملاكمة محمد علي، ولويس فرخان ونجم كرة السلة عبد الكريم جبّار بعيدا عن صور الإسلام المشوهة التي يقتنصها الإعلام من الشرق الأوسط والعالم العربي.[1] وقد استفادت الجالية المسلمة في أمريكا بهذا الغطاء قبل أحداث ١١ سبتمبر. تعتقد أكثر الدراسات أنّ هذه الجالية من السود تمثل قرابة ثلث المسلمين في أمريكا، بينما تقدّرها دراسات مسحيّة من مركز بيو (Pew Research Center) بخمس عدد المسلمين.[2]

ومساجد هذه الجالية قائمة على تراث الكنيسة الأمريكيّة التي كانت ومازالت تعتبر مرتكز القوامة الاجتماعية والسلطة السياسية لدى السود في أمريكا. فمعظم القادة الذين ناضلوا لأجل حقوق السود في أمريكا جاؤوا عبر مؤسسة الكنيسة وليس القسّ مارتن لوثر كينج بآخرهم. فخطاب مساجد هذه الجالية غالبا ما يركز على هموم المواطنة والعنصرية والجريمة، وتجدر ملاحظة أن هناك فصاما جذريا بين خطاب المساجد التي يديرها المهاجرون المسلمون وخطاب المساجد التي معظم إدارتها من الإفريقيين الأمريكيين، وهذا لا ينفي وجود مساجد في مناطق المدن

(1) Sherman Jackson, Islam and the Blackamerican. Oxford University Press, 2005.
(2) Pew Research Center Survey on Muslim American, May, 2007.

المزدحمة حيث يجتمع المصلون من خلفيات مختلفة ليخلقوا جوا مثاليا للإسلام.

ولا أريد أن يظن القارئ أني أنفي وجود جاليات إسلامية أخرى مهاجرة من إفريقيا جنوب الصحراء أومن تركيا وإيران أو حتى من البوسنة وروسيا، لكن أدوار هؤلاء على النطاق القومي لا تقارن بالجماعات التي ناقشناها. فقد بقي المسلمون من غرب إفريقيا مصدرا للتصوف في أمريكا؛ وقد حظي الشيخ الصوفي التجاني الشيخ حسن سيس (Hassan Cisse) بآلاف الأتباع في لمدن الأمريكية كما اعترف بقيادته الروحية بعض حكومات الولايات. ونفس الشيء يقال عن الطريقة النقشبندية وشعبيتها بين البيض حتى أسماها بعضهم بالطريقة الصوفية الرسمية لأمريكا.

ويجدر التأكيد هنا بأنّ تركيا وإيران لعبتا دورا هامشيا في تأسيس الجاليات الإسلامية في أمريكا مقارنة بالجاليات العربية والهندية والباكستانيّة. وأسهل تفسير لهذا الحدث التاريخي هو أنّ الإسلام يمثل الإطار المحوري للثقافة العربية والباكستانية، بينما الأمر ليس كذلك لدى هؤلاء المهاجرين من إيران وتركيا. لأنّ الإيرانيين الذين هاجروا إلى أمريكا في أوج موجات الهجرة في الثمانينيات كانوا العلمانيين المتعصبين واللادينيين الزرادستيين. فعداؤهم للثورة الإسلامية الخمينية أدّى إلى معاداتهم لكل ما هو مؤسسة دينية في المهجر. والمهاجرون الأتراك إمّا علمانيون كما كان جلهم على دين بلادهم، أو متصوفة، مناهضون للاتجاه السني السلفي الذي طغى على المسجد الأمريكي و فرض نفسه ممثلا للإسلام الأمريكي؛ و في كلتي الحالتين يلمس الدارس غياب بصمات الجاليات الإيرانية والتركية على تشكيل الإسلام في أمريكا.

ونقطة مهمة هنا، هي أنّ جوّ التحول الديني الذي يسود تركيا اليوم ومنذ العقد الأخير من القرن الماضي بدأ ينعكس إيجابيا على الجاليات التركية في أمريكا. فبدأ الحضور التركي في المساجد يعد مظهرا قشيبا في الساحة الأمريكية، كما أنّ الخوف

الأمريكي من ربط الخطاب الإسلامي في أمريكا بالنزاعات في العالم العربي وباكستان وأفغانستان ساعد على تشجيع الدور التركي الجديد. فمنذ عام ١٩٩٠ ظهرت أكثر من مائة مدرسة تركية أمريكية منتشرة في أكثر من ٢٥ ولاية يتعلم فيها أكثر من ٣٥ ألف طالب، وهذه المدارس التي تنمو بأعداد لافتة للنظر، تتميز بمستوي أكاديمي عالي كما أنّ جلّ المدرسين فيها أتراك ولاتجاهات هذه المدارس في تدريس الرياضيات والعلوم أصبحت الجاليات الإسلامية تتودد إلى المشرفين عليها طالبين فتح فروع لها في المدن التي يقيمون بها.

منظمة أمّة الإسلام The Nation of Islam

تعتبر NOI من أقدم المنظمات الإسلامية في أمريكا حيث تأسست عام ١٩٣٠ بيد رجل مجهول الخلفية والأصل يسمي ولاس فرد محمد وعقب اختفائه - وقال آخرون موته - عام ١٩٣٤ ورث طالبه أليجا محمد المنظمة عام ١٩٣٤. وكان أليجا ذا رؤية ثاقبة وموقف صارم ضد سيطرة البيض على كل مرافق الحياة في أمريكا، ورفضهم المطلق لحقوق السود في المساواة والمشاركة في المجال السياسي. وقد أورد فلسفته السياسية في كتاب أسماه «رسالة إلى الرجل الأسود »Message to the Blackman، والكتاب يتضمن محاضراته أثناء سنوات تأسيس المنظمة التي وصلت العضوية الرسمية فيها عام ١٩٦٠ إلى مائة ألف عضو، ومجال الكتاب هو مناقشة جذور فلسفة Black Superiority «تفوق السود على البيض» وفق استنباطاته من التاريخ الإنساني، وأنّ السود مسلمون ينحدرون من قبيلة شبّاز العريقة، وأنّ الله كلفه «محمّد» بابتعاث الإسلام بين السود من جديد.

وفي عام ١٩٥٢ التحق مالكولم إكس بالمنظمة التي جندته أثناء سنوات إقامته في السجن. ومع مضي السنوات، أصبح مالكولم إكس أكبر متحدث باسم المنظمة وأشهر رجالاته القيادية. فقد زاده الله بسطة في المعرفة والمظهر مع فصاحة اللسان

وسرعة الفهم القائم على حسن التقدير ووعي سياسي محنك. ومما يذكره الصحفيون أنه كان يفقه مغزى الصحفيين قبل أن يختموا أسئلتهم، فصعب عليهم مواجهته أو محاولة إحراجه كما دأبوا مع القادة السود. ومما يؤثر عنه المقولة المشهورة أمام زمرة قيادات الجالية الإفريقية الأمريكية .. أنه في الوقت الحالي لايملك الإفريقي الأمريكي أن يكون محايدا: إمّا أن يكون طرفا في الحل أم طرفا في المشكلة. وليس هناك اختلاف بين الباحثين بأنّ مالكوم إكس هو الذي بني منظمة NOI وخرج بالمنظمة وفلسفتها التي مازجت بين الإسلام وفلسفة تفوق السود على البيض من المعابد والمساجد إلى الشارع الأمريكي وقدّمها إلى أروقة الجامعات وشاشات التلفزيون. وقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بأنّ مالكولم إكس هو أكبر شخصية سياسية أنتجها السود في تاريخ نضالهم الطويل في العالم الجديد.

ولعلوّ نجم مالكوم إكس وهيمنة صيته على أنداده في منظمة NOI وسوس بينه وبين معلمه أليجا محمد وكثر التصادم بينهما. وعقب مقتل الرئيس الأمريكي جون كيندي عام ١٩٦٣ طلب أليجا محمد من كل قيادات المنظمة بألا يعلقوا في حادثة اغتيال الرئيس. وكان أليجا محمد يعرف أن الرئيس كان محببا بين الجمهور وأنّ الحديث في موضوع اغتياله لايفيد منظمة NOI التي كانت تتهم بالتحريض على العنف كبديل للاعنفية التي كان البعض ينادون بها. لكن مالكولم إكس لم يصغ إلى تعاليم شيخه، فحين سأله الصحفيون عن رأيه في موضوع اغتيال الرئيس علق بكل عجالة بأنّ هذا العنف الذي ساد البلاد والعبد حتى أودى بحياة الرئيس لا يمكن تجاهله فهو مثل الدجاج الذي آب إلي قفصه .(Chicken coming home to roost). وقد أغاظ هذا التعليق الكثيرين من الناس، أحباء الرئيس المغتال. حينها، جمّد ألبجا محمد عضوية مالكولم في المنظمة ومنعه من مداولة منصبه كوزير لمدة تسعين يوما.

في مارس ١٩٦٤ ترك مالكولم المنظمة بحجة أنّ فلسفة المنظمة المرتكزة على

تفوّق الجنس الأسود على غيرهم من الأجناس خطأ، وتمنعه من توسيع رقعة عمله السياسي خارج دائرة السود، وأنه سيؤسس منظمة تتبنى نفس قضايا السود ولا تقفل الباب أمام غيرهم ممن يشاركونهم هذه الهموم؛ ثم غادر البلاد متجها إلى السعودية للحجّ حيث قابل الملك الراحل فيصل ابن عبد العزيز وآخرين من أهل السنة وأرباب السياسة في المملكة؛ وفي طريقه إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك بعد رجوعه، زار مصر، وإثيوبيا وتنزانيا، ونيجيريا وغانا، والسودان، السنغال، ليبيريا، الجزائر والمغرب وفرنسا وبريطانيا. وكذلك أثبتت الدراسات أن الرئيس عبدا لناصر والرئيس كوامي نكروما في غانا والرئيس أحمد بيلا في الجزائر دعوا مالكوم أثناء زيارته للمكوث في بلادهم والعمل في حكوماتهم.

وعقب رجوعه إلى الولايات المتحدة تحوّل مالكولم إكس إلى الإسلام السني وأسّس مسجدا، كما وسّع تجمعه السياسي إلى منظمة أفروأمريكان للوحدة، وخلال ما يقارب سنتين كان مالكولم إكس من أعظم وأشهر الشخصيات السياسية في أمريكا يقتاده الإعلام، وتنتدبه المنظمات الدولية للحديث في منابرها، كما أصبح همزة وصل بين الحركات التحررية في إفريقيا والشارع الأمريكي. أغتيل في نيويورك حين كان يخطب أمام جمع من أنصاره يقدرون بأربعة مائة شخص. ومازال الكتاب والباحثون يتناحرون حول سبب اغتياله و عمّن كان وراء هذا الاغتيال.[1]

ولمالكولم إكس أثر كبير على الإسلام في أمريكا، فانتقاله من منظمة أمّة الإسلام (NOI) إلى الإسلام السنّي كان بداية العدّ التنازلي في تضييق مفهوم الإسلام في أمريكا. وقد تبع آلاف السود الأمريكيين أثره الذي اشتهر بسنّة مالكولم اكس (The Legacy of Malcolm X) ومقتضاه اعتناق الإسلام أثناء المكوث في السجن ثمّ التحول إلى الإسلام السنّي بعد مفارقة السجن. أما منظمة NOI فقد حولها ابن

(1) Karl Evanzz, The Judas Factor: The Plot to Kill Malcolm X. New York, Thunder's Mouth Press, 1992.

أليجا محمد، واسمه ولاس محمد، بعد موت والده عام ١٩٧٥ إلى منظمة إسلامية قائمة على الإسلام السنّي.

وفي عام ١٩٧٨ انشق لويس فرخان من قيادة ولاس متهما إيّاه بالخروج عن تقاليد المنظمة وتراث والده، وكان لويس فرخان ندّا لمالكولم إكس وزميلا له ومن الذين لاموه حين انفصل عن المنظمة. ولقدراته القيادية والكاريزماتية تمكن لويس فرحان من إعادة بعث المنظمة وإعادة تنظيمها حسب تعاليم جديدة هي أقرب إلى الإسلام السني مما كان عليه إبّان نشأته. لكنه بقي معاديا للجاليات المسلمة الأخرى وخاصة تلك المرتبطة بالمهاجرين العرب والآسيويين، كما أنه أيضا بقي ممثلا معروفا بوزنه الثقيل في أوساط السود والإعلام الأمريكي عموما. وتقدر أتباعه حاليا فيما بين عشرين وثلاثين ألف شخص. ومازالت المنظمة تتمتع بتنظيم هيكلي لها حضور وسط الأفروأمريكيين في كل الولايات المتحدة الأمريكية.

وسياسيا يميل السياسيون الأمريكيون إلى إبعاد أنفسهم من لويس فرخان حتى لا يرتبطوا برجل اشتهر بعبارات تعد معادية للسامية. فهو معروف بهجومه على اليهود واتهاماته إياهم. وكان آخر السياسيين الذين أعلنوا تبرأهم من لويس فرخان هو الرئيس الحالي براك أوباما الذي قضى وقتا طويلا في بدايات حملته الانتخابية عام ١٩٩٨ يبعد نفسه وزمرته عن أية علاقة بهذا الرجل رغم أن لويس فرخان كان من أوائل الذين ناصروا ترشيح أوباما كعضو في بيت الشيوخ، وكمرشح للرئاسة في البيت الأبيض.[1]

وإضافة إلى هذه التنظيمات المظلية للمسلمين، هناك عشرات المنظمات القطرية والإقليمية و الأكاديميّة التي تناصر قضايا المسلمين والإسلام في أمريكا، كما أنه ظهر في العقد الأول من هذا القرن مؤسسات لا حكومية وجماعات ضغط لخدمة القضايا القانونية والحقوق المدنية للمسلمين ومن أشهرها MANA، CAIR، AMS و هلم جرّا.

(1) The Washington Post, January 15, 2008.

ويعني MANA تحالف المسلمين في شمال أمريكا. وقد برزت هذه المنظمة في الساحة الأمريكية عام ٢٠٠٥ وتضمّ على وجه الخصوص المسلمين الأفريكان الأمريكان؛ وهي في الحقيقة كان ردّ فعل علي المنظمات والمؤسسات الإسلامية الأخرى الموجودة في الساحة منذ ما قبل الثمانينات سواء منظمة (NOI) التي تهتم بموضوعات العنصرية ضدّ السود أم المنظمات الإسلامية التي يرعاها المهاجرون المسلمون والتي غالبا ما تهتمّ بالموضوعات السياسية الخارجيّة. وبين هذه وتلك لا يجد المسلم الأمريكي العادي من يهتم بشئونه وخاصة وسط السود، فلذلك أسست المساجد والمنظمات الإسلامية التي تغلب فيها الأفروأمريكيين هذه المنظمة لحل المشاكل التي يرونها ذات أهمية لجالياتهم كالزواج والتمثيل السياسي والنهضة الاقتصادية في الأحياء الفقيرة للسود، ومحاربة الجريمة والمخدرات التي تهتك بالجالية وخاصة في المدن الكبرى حيث تشير الأرقام إلى أنّ كل ثلاثة من مجموع كل خمسة سود من الرجال هو إما في السجن أو تحت المراقبة القانونية.[1]

وأمّا منظمة CAIR فتعني المجلس لأجل العلاقات الأمريكية الإسلامية؛ ويعتبر هذا التنظيم أكبر مجمع إسلامي للدفاع عن حقوق وحريات المسلمين في شمال أمريكا، ومقره واشنطن العاصمة وتوجد له فروع في كثير من الولايات داخل أمريكا وكندا، ويرجع بروزه الأول إلى عام ١٩٩٤ وقد قامت بتأسيسه جماعة من أعضاء الجمعية الإسلامية لفلسطين، لكن المنظمة تمكنت من تجاوز مرحلة التأسيس بعد هجمات ١١ سبتمبر لتصبح المدافع الأول للحريات الفردية والجماعية التي وجدت نفسها مهددة عقب هذا الحدث التاريخي.

ومما يثنى على هذه المنظمة قيامها بتقديم تعداد لأحداث العنف المنظم والعنصرية الموجهة ضدّ المسلمين في الولايات المتحدة سنويا، والسعي لدى

(1) Keith Richburg, Out of America. New York: Basic Books, 1997.

السياسيين لوجود حلول لها، وكذلك تقوم المنظمة بمساعدة المسلمين الذين وجدوا أنفسهم أمام ملاحقة قانونية لأسباب غير قانونية. وكذلك تعمل المنظمة على مراقبة صورة الإسلام في الإعلام الأمريكي، والإشهار بالكتب والأشخاص الذين يسعون إلى تشويه سمعة هذا الدين.

وتجدر أيضا الإشارة إلى أنّ CAIR تمكن من تجاوز الإشكاليات الإثنية والمذهبية بين مسلمي أمريكا؛ فهي تتمتع باعتراف وشرعيّة بين معظم المسلمين كما أنّها أصبحت مرجعا أساسيا لقضايا حقوق المسلم الأمريكي وحرياته في الإعلام الأمريكي.

المسلمون وهجمات ١١ سبتمبر

■ ■ ■

تعدّ هجمات ١١ سبتمبر أهمّ حدث في التاريخ الأمريكي الحديث، كما أنّها أيضا تعتبر أهمّ حدث على الإطلاق في تاريخ المسلمين في أمريكا. فلأول مرة في تاريخ أمريكا تهاجم هذه البلاد في عقر دارها، فهجوم اليابان علي الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية والتي أدت إلى ردة فعل أمريكية في استخدام القنبلة النووية في مدينتي هيروشيما و نكازكي عام ١٩٤٥ كان هجوما على جزر تابعة للولايات المتحدة، ولم يكن هجوما على الأراضي الأساسية مطلقا.

ومن جانب آخر فإنّ هذا الحدث وجد صداه على نقاش كان دائرا حينها حول صراع الحضارات، وهذه النظريّة لا ترجع إلي الأستاذ هانتيغتون، لكنه اقتبس الموضوع من كبير المستشرقين الأمريكيين بروفيسور بارنارد لويس. وهذا الأخير الذي تخصّص في دراسة سيد قطب كان قد كتب مقالا عام ١٩٩٠ بعنوان: «جذور الغيظ الإسلامي،» وفي هذا المقال الذي أشرنا إليه مسبقا، ناقش ظاهرة العنف لدى المسلمين، وادّعى بأنّ هذا العنف تاريخيا موجه ضدّ الغرب المسيحي. وفي المقال أيضا حذر بأنّ المسلم مهما أبرَّ إليك وأحسن معاملتك ففي داخله تقبع القدرة على إفراز عنف لا يستثني الغريب ولا الصديق غير مسلم. وكان آخر قسم في ذلك المقال بعنوان : «صدام الحضارات.» وقد فسرت هجمات ١١ سبتمبر كمصداقية لهذه التكهنات الأكاديمية.

وثالثا إنّ تاريخ أمريكا، كما أسلفنا في الباب النظري، دأب على محاربة «الآخر» فقد بدأ الآخر بالمستعمر البريطاني، ثم بالهنود الحمر، ثمّ بالسود الأرقاء، ثمّ بالمكسيكيين في الجنوب، ثمّ بالألمان واليابانيين ثمّ بالنازية والفاشية، ثمّ بالروس

الشيوعيين. وبهذه الهجمات أصبح «الآخر» كوصفة تتدلى بين الإسلام الراديكالي والإسلام السياسي. وقد ذكر محمود ممداني أنّ صفحة الحرب على الإرهاب التي رادها الرئيس جورج بوش فرضت على كل مسلم في العالم أحد الخيارين: أن يكون المسلم الجيد، وهو الذي يقف مع السياسات المعلنة ويستسلم لخطوطها العريضة دونما تردد، أو أن يكون المسلم السئ وهو كل من يعارض أو يبحث عن موقف وسط بين الخيارين.[1]

فكانت الحرب على أفغانستان بعد شهر من هجمات ١١ سبتمبر، وعلى العراق بأقلّ من سنتين، و كذلك الحرب على القاعدة في أرجاء المعمورة في اليمن، الصومال، باكستان والصحراء الكبرى. وقد ذكر البروفيسور انسينج هو، أستاذ التاريخ و الدراسات الأنتربلوجيّة في جامعة ديوك، أنّ المشكلة في هذه الحرب على الإرهاب أنّ أمريكا وحلفاءها يقودونها من أجل الديمقراطية بينما القاعدة وأنصارها يخوضونها من أجل الدين وبين النهجين تجهض النفوس وتفقد الحقوق، وليس هناك تحكيم إلى العقول.[2] وقد توسعت تداعيات هذه الحرب لتعمّ المسلمين في أوروبا في بريطانيا وألمانيا و إسبانيا وفرنسا حيث أثرت على تشكيل عقلية معادية للإسلام وقوانين موجهة ضد بعض المظاهر والتقاليد الإسلامية مثل النقاب وبناء منارات المساجد و مساندة الفلسطينيين. أمّا في الولايات المتحدة فمع أنّ البلد أُسّس على حماية الحقوق الفردية والحريات العامّة، فقد أصبح السؤال الأساسي يدور حول الإسلام والمسلمين: هل يمثلون تهديدا لقيم الدولة الأمريكية؟

وهذا السؤال جائز وموضوعي في ظل الحروب التي تقودها أمريكا في

(1) Mahmoud Mamdani, Good Muslim, Bad Muslim: America, the Cold War and the Roots of Terror. New York: First Three Leaves Press, 2006.

(2) Engneng Ho, «Ballots for Bombs: War Beyond Sovereignty, Peace Beyond Representation.» Paper Presented at Duke University, March 24, 2009.

أفغانستان والعراق أو تساندها في باكستان واليمن والصومال، حيث انحدر عدد كبير من مسلمي أمريكا، كما أنّ بقاء النزاع الإسرائيلي الفلسطيني بلا حل جذري يرمي لظلاله على العلاقة بين الجاليات العربية واليهودية في أمريكا. وهذا الأخير هو الذي دفع بعض المفكرين إلى التركيز بأنّ القضاء على الإسلام الراديكالي يكمن في حلّ هذا النزاع في الشرق الأوسط.

والنقطة الرابعة في هذا الإطار هي أنّ هجمات ١١ سبتمبر دفعت المسلمين إلى تجاوز الكثير من اختلافاتهم وخلافاتهم الشكلية ومحاولة العمل كجماعة واحدة. ولأنّ الشارع الأمريكي لا يهمه الفروق الأكاديمية بين المتطرف والمسالم والعربي والباكستاني، والسنّي أو الصوفي الخ.. وجد المسلمون أنفسهم في قالب واحد إذ كَوْن الشيخ باكستانيا أو مصريا قد لا يكون له وزن لتجاوز معظم المواقف الحرجة التي تتناول موضوع الدين. وجدير بالذكر أيضا أنّ الكثير من المنظمات التي كان المسلمون المهاجرون يسيطرون على مظهرها أصبح المسلمون الأمريكيوا الأصل هم الواجهة الخارجية، وكان هذا التحول ضروريا لإعطاء الإسلام صبغة أمريكية في وجه الإعلام الذي أصرّ على إظهاره بصورة دين العرب وناس الشرق الأوسط الغريبين عن تقاليد أمريكا الديمقراطية السمجاء.

وأيضا يحسن بنا القول بأنّ هجمات ١١/ سبتمبر تداعت على الحياة الأمريكية اليومية وما زالت؛ كأمثلة لها نذكر الانتظار الطويل في المطارات لساعتين قبل إقلاع الطائرات لإجراءات التفتيش، قوانين كشف أسماء الذين يستعيرون كتبا معينة من المكتبات العامة، قوانين الحدّ من المبالغ التي يمكن إرسالها إلى بلاد معينة أو جهات معينة، تقسيم المسلمين إلى مجموعات تجرم التعامل معها وأخرى تسمح التعامل معها. وكذلك ظهرت مصطلحات لم تكن حاضرة في القاموس الأمريكي السياسي مثل الفاشية الإسلامية، الحركات الإسلامية المتطرفة، التهديد الإسلامي، خطر

الشريعة، الطابور الإسلامي الخامس.

وفي نفس الوقت، ظهر مباشرة عقب الأحداث قادة يعادون الإسلام جهارا إمّا على علم أو بغير علم. فيذكر فرنكلين غرهام: وهو قائد حركة مسيحية مشهورة، بأنّ «الإسلام شيطان شرير ودين خبيث، وحين تقرأ القرآن وآياته تجده يحثّ على قتل الكفّار وغير أصحاب عقيدة الإسلام.»[1] ويقول بات روبرتسون، وهو قائد مسيحي ذو قوة إعلامية وأتباع كثر، بأنّه بعد أن اطلع على القرآن «وجد الإسلام دين عنف يرفض الآخر،»[2] ومثلها كتب جونا كولدبارغر بأنّ الإسلام «دين دخيل علينا، غريب في أطواره، عفن بفاشيته،»[3] وهكذا دواليك.

وهنا يجب أن نلفت النظر إلى أنّ الناس على دين سلطانهم. فالمضايقات التي واجهها المسلمون عقب هجمات ١١ سبتمبر، والعنف الإعلامي الموجه ضدّهم طرأ في الثقافة الأمريكية الدينيّة لأنّ وجهاء القوم ممن سبق ذكرهم على سبيل المثال، لا الحصر، صوّروا لعامة الناس أنّ الإسلام يمثّل خطرا على حريتهم، و أنّ المسلمين يسعون لأسلمة أمريكا بعدما فشلوا في غزوها عنوة.

فمثال آخر هو أنّ الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن كان أوّل من استخدم عبارة الفاشية الإسلاميّة (Islamic Fascism) في خطاب له أمام الكونغرس الأمريكي عقب هجمات سبتمبر. وبعد الخطاب تهافت الإعلام المرئي والمقروء على المصطلح. فمثلا في مقال نشرته الجريدتان البريطانية (the Guardian) والأمريكية (The Nation)، كتب الصحفي كريستوفر هيتشون(Christopher Hitchens) عقب خطاب الرئيس بوش يقول: «مهاجموا مدنهاتن (نيويورك) ... هم فاشيون في

(1) Comments made on NBC Nightly News, November 19, 2001 .

(2) Robertson's «700 Club» television program with co-host, Lee Webb, on February 21, 2002. Also see Alain Cooperman, Washington Post, February 22, 2002. .

(3) Jonah Goldberg, «the Goldberg File.» In the New Republic, October 1, 2001.

وجه إسلامي ... إنّهم أعداء الحياة.» [1].

وكلمتي الفاشية والنازية تمثلان قمة الشرّ في خيال الإنسان الغربي؛ فما قامت به الفاشية من أعمال العنف المنهجي الموجه وما سببتها من دمار وحروب ما زالت حيّة في هاجس الغربيين بما فيهم الأمريكان الذين ضحّوا بآلاف الجنود لنجدة الأوروبيين من شرّ الفاشيّة. والإشكال هنا، هو أنّ الفاشيّة لم تكن من صناعة الإسلام، ولا العرب ولا المسلمين. بل كانت صنيعة غربيّة وأوروبيّة سياسة وفلسفة. إذن لصقها بالإسلام والمسلمين تلفيق لحقائق التاريخ و استهجان بعواطف الناس.

وليس بغريب ، أنه في دراسة لزميلة لي، دكتورة ألين ماكلرني في جامعة ديوك، ذكرت أنّ نظام (LexisNexis) الإلكترونيكي المتخصص في تتبع أكثر الكلمات تداولا في الإعلاميين البريطاني والأمريكي، سجلّ أنّ عبارة الفاشية الإسلاميّة (Islamic Fascism) كانت وردت خمس مرات فقط في تاريخ إعلام البلدين قبل ورودها في خطاب الرئيس بوش، لكنها اليوم وردت ١٨٦٨ مرة منذ ذلك الخطاب.[2]

وكذلك ظهرت آلاف المواقع والبرامج اليومية التي تدعي محاربة الخطر الإسلامي على أمريكا. كل هذه الحركات المرئية والمسموعة خلقت جوا متناغما لأهداف أعداء الإسلام، كما أنّ خطابات الجماعات الإسلامية المسلحة في أفغانستان، والعراق، وباكستان والصومال واليمن والصحراء الكبرى أعطت نوعا من الشرعية لهذه الأصوات المعادية للإسلام.

1) Christopher Hitchens, «On The Brink of War: Let's Not Get Too Liberal.» In The Guardian, September 21. & Also in the Nation October 8.
2) Ellen Mclarney «American Freedom And Islamic Fascism: Ideology in the Hall of Mirrors.» To appear in Theory and Event, 14: 1 (March, 2011).

استطلاع رأي الأمريكيين المسلمين:[1]

الأمريكيون المسلمون يمثلون طبقة وسطى ومعظمهم ضمن التيار السائد. وحسب هذا الاستطلاع للرأي المسحي والذي شارك فيه أمريكيون مسلمون من شتى أنحاء الولايات المتحدة تبيّن أنّ معظمهم مندمجون في المجتمع الأمريكي وسعداء في عيشهم، ومعتدلون في مواقفهم تجاه القضايا التي تعتبر مصدر إشكالية بين المسلمين والغربيين في العالم. و حسب هذا المسح يبدو أنّ الأمريكيين المسلمين أمريكيون في الصميم من حيث تطلعاتهم وقيمهم وتوجهاتهم؛ كما أنهم يعتقدون بغالبيتهم الساحقة أنّ العمل الدءوب لا بد أن يأتي ثماره في المجتمع الأمريكي. وهذا الاعتقاد أيضا جليّ في مستويات الدخل والتحصيل العلمي اللذان يعكسان واقع الجمهور العام في البلاد. وحسب هذا الاطلاع، فإنّ حوالي ثلثي (٦٧٪) المسلمين البالغين المقيمين في الولايات المتحدة ولدوا في بلدان أخرى، وأنّ نسبة ٣٩٪ منهم قد قدموا إلى الولايات المتحدة بعد عام ١٩٩٠.

ومن الجوانب الهامة التي تتناول اعتقاد الأمريكيين المسلمين، أنّ مجملهم ينظرون إلى محيطهم الاجتماعي الأوسع نظرة إيجابية عامة فيقول معظمهم: إنّ نوعية العيش في مجتمعاتهم الخاصة جيدة أو ممتازة. وتتساوى نسبة الأمريكيين المسلمين مع غيرهم من المجتمع الأوسع من حيث رضاهم عن مجريات الأمور في الأمة عامة. زد على ذلك إنّ ٧١٪ من الأمريكيين المسلمين يتفقون مع الرأي القائل إنّ معظم الناس الذين يطمحون إلى التقدم والنجاح يستطيعون تحقيق طموحهم إذا كانوا على استعداد للعمل الدؤوب.

ومن ناحية التطرف الديني، فهم يرفضون التطرف الإسلامي بنسبة تفوق النسبة التي ترفض مثل هذا التطرف في أوساط الأقليات المسلمة في أوروبا الغربية. ولكن

(1) Pew Research Center « Muslim American: Middle Class and Mostly Mainstream.» Official Website Publications: May 22, 2007.

هناك قبولا أوسع نوعا ما للتطرف الإسلامي في بعض أوساط المسلمين في الولايات المتحدة منه في أوساطهم الأخرى. ومن حيث مقارنة مستوى التطرف الديني في المجموعات، فالأمريكيون المسلمون السود المولودون في أمريكا الذي يدينون تنظيم القاعدة بشكل قاطع هم أقل نسبيا إذا قورن بالأمريكيين المسلمين الآخرين الذي يدينونه بنفس الشكل. ومن حيث العلاقة بين الأجيال، فإن المسلمين الشباب في الولايات المتحدة أكثر ميلا من الأمريكيين المسلمين الأكبر منهم سنا إلى الإعراب بشدة عن هوية إسلامية؛ كما أنهم أكثر ميلا بكثير إلى القول: إنّ عمليات التفجير الانتحارية دفاعا عن الإسلام يمكن تبريرها في بعض الأحيان على الأقل. وبالرغم من ذلك، فإن مستويات التأييد المطلقة لدى الأمريكيين المسلمين للتطرف الإسلامي متدنية جدا، خاصة فيما لو قورنت بالمسلمين حول العالم.

وأمّا ما يتعلق بآرائهم حول دور الولايات المتحدة في العالم الإسلامي ودور ١١ سبتمبر في حياتهم: عموما، لم يتردد الأمريكيون المسلمون الذين استطلعت آراؤهم في الإعراب عن استيائهم من حرب الولايات المتحدة ضدّ الإرهاب وأثره في حياتهم الخاصة. تقول أغلبيتهم ٥٣٪ إنه بات من الأصعب على المرء أن يعيش كمسلم في الولايات المتحدة بعد هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية. كما يعتقد معظمهم أنّ الحكومة تستهدف المسلمين بشكل خاص لمزيد من المراقبة والرصد. وتعتقد نسبة ضئيلة من الأمريكيين المسلمين أن الحرب ضد الإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة هي توجه صادق للحد من الإرهاب، كما يشكك الكثيرون أنّ عربا هم المسؤولون عن هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية؛ فنسبة ٤٠٪ فقط من الأمريكيين المسلمين تقول: إنّ مجموعات من العرب هي التي نفذت تلك الهجمات.

يشير نصف الأمريكيين المسلمين أنهم التحقوا بالجامعات الأمريكية، وهي نسبة أدنى إلى حدّ ما منها لدى الجمهور العام غير أنّ المسلمين والجمهور العام يتساوون من حيث دخلهم السنوي وتقييمهم لأوضاعهم المالية الشخصية. والجدير بالملاحظة هو أنّ نسبة أعلى من المسلمين المهاجرين يعتبرون أنفسهم في وضع مالي جيّد إذا ما قورنوا بالمسلمين المولودين في الولايات المتحدة.

المسلمون الأمريكيون من هم؟

البيان	النسبة المؤلفة من المولدين
خارج الولايات المتحدة	٦٥
المنطقة العربية	٢٤
باكستان	٨
آسيا الجنوبية آخر	١٠
إيران	٨
أوروبا	٥
أفريقيا آخر	٤
آخر	٦
في الولايات المتحدة	٣٥
أمريكي أسود	٢٠
آخر	١٥
	١٠٠
خارج الولايات المتحدة	٦٥
سنة الهجرة ٢٠٠٠ -٢٠٠٧	١٨

سنة الهجرة ١٩٩٠-١٩٩٩	٢١
سنة الهجرة ١٩٨٠-١٩٨٩	١٥
قبل ١٩٨٠	١١
في الولايات المتحدة	٣٥
نسبة الذين اعتنقوا الإسلام	٢١
ولدوا مسلمين	١٤

obeikan.com

إشكاليات الإسلام والمسلمين في أمريكا

■ ■ ■

لا يكتمل الحديث عن الإسلام في أمريكا إلا إذا حللنا الأوضاع الثقافية والمسائل الفقهية التي تواجه المسلمين في هذا البلد. وفي هذه الدراسة التحليلية يحسن الرجوع إلى الفصل النظري عن أمريكا؛ لأننا سنكون في حاجة إلى خلفية نظريّة وثقافية للمجتمع الأمريكي، من خلالها نفهم أو بالأحرى نفسر وضع المسلمين هناك.

فمن إشكاليات المسلمين كما أسلفنا مواجهة مشكلة العرقيات والإثنيات في جالياتهم المختلفة، فالإثنيات والعنصرية القبلية، كما يسميها الأستاذ سليمان نيانغ من جامعة هاوارد مازالت مصدر التوتر بين المسلمين.[1] وهذا ظاهر في موضوعات الزواج، إمامة المسجد، وإدارته. ومطرد النقاش بين المسلمين عن مساجد العرب، مساجد الهندوباك ومساجد السود. وفي دراسة لعلاقات المسلمين مع بعضهم البعض داخل المساجد، اضطر الكاتب إلى استخدام مصطلح ظاهرة «القبليّة» للتعبير عن هذه التجربة.[2] وفي كتاب «Growing Up in the Nation» تحكي المؤلفة قصة حياتها كمسلمة داخل منظمة أمة الإسلام (NOI) والعلاقات العنصرية بينها وبين المسلمين المهاجرين، وقد بقي هذا الموضوع مجال الأخذ والانتقاد لدى لويس فرخان الذي كثيرا ما يرفض التعاون مع المسلمين المهاجرين متهما إياهم

(1) Sulayman Nyang, «Convergence and Divergence in an Emergent Community: A Study of Challenges Facing U.S. Muslims,» Yvonne Z. Haddad, ed., The Muslims of America New York: Oxford University Press, 1991, p. 238.

(2) Frah Ternikar, «Tribalism in Muslim America,» Islam in America: Images and Challenges, ed. Pylis Lan Lin Indianapolis: University of Indianapolis, 1998 . .

باستلهام عنصرية الإرث الأمريكي وإعادة فرزها ضدّ السود الأمريكيين.

ومع أنّ هجمات ١١ سبتمبر قلّصت من هذا البون الراكض بين الجاليات المسلمة إلا أنّ بذوره الموجود في تعدد المساجد وتشكلها حسب العرقيات مازالت قائمة والعلاقات بين الجاليات العربية والباكستانية في المساجد أيضا ليست مثالية والسبب دائما مرتبط بهيكل إدارة المساجد.

فالمساجد التي يشيدها المهاجرون غالبا ما تخضع لثلاث سلطات: سلطة الإمام، وكثيرا ما يكون الإمام من الدول العربية، وسلطة اللجنة التنفيذية التي غالبا ما يسيطر عليها رجال الأعمال والأطباء الأثرياء من الهندوباك، ثمّ سلطة الجمعية العمومية التي تتكون من دافعي رسوم العضوية من المصلين، وقلّ من يدفع رسوم العضوية إلا إذا كانت له مصالح خاصة في إدارة المسجد. وتصادم هذه السلطات الثلاثة كثيرا ما يكون نتيجة محاولة السلطة التنفيذية التحكم على الإمام واتجاهاته الفكرية ومضامين خطبه، ولأنه قبل كل شيء موظف خاضع لمساءلات الذين يدفعون راتبه وهم السلطة التنفيذية، بينما يرى الإمام، وإنّ قلّ فهمه للمجتمع الأمريكي، أو بسط قدراته الإنجليزية، أنه الإمام ولا سلطة في المسجد فوق سلطته، وأنّ كل الجهات الأخرى يجب أن تخضع لعلمه الذي خصّه بهذه الرتبة. أمّا الجمعية العمومية فكثيرا ما تنقسم تبعا للسلطتين: بين مؤيد للإمام، ومناصر للسلطة التنفيذية. وحسب دراستنا السابقة للمسلمين في كليفلاند بولاية أوهايو، وجدنا أنّ كثرة المساجد وانتشارها في تلك المنطقة كانت تعزى إلى هذه النزاعات التي تنتج الانشقاق وظهور مساجد جديدة كلما دبّ النزاع في المسجد واضطر الإمام أو القائد إلى إيجاد مسجد بديل له ولأنصاره[1].

***

(1) Mbaye Lo, Muslims in America: Race, Politics and Community Building. Aman Publications, Maryland, 2004.

وإشكالية أخرى هي الموازنة بين المبادئ والمصالح:

وأقصد بهذا أنّ معظم المسلمين في أمريكا ليبراليون/ ديمقراطيون وذلك بحكم انتماءاتهم السياسية، ولأنّ الديمقراطيين يدعمون حقوق الأقليات والمسلمون أقلية، ولأنّ الديمقراطيين (الحزب الديمقراطي) يساندون البرامج التي تدعم الأسر وتساعد الفقراء وتكفل المحرّمين مثلMedicare, Social Security، Welfare وهلم جرا، وهذه البرامج ممّا تساعد المسلمين و تتوافق مع تعاليم دينهم الحنيف، ولأنّه منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية أصبح الديمقراطيون يمثلون غير البيض في أمريكا ومعظم المسلمين انحدروا من عالم الملونين.

ومن ناحية أخرى، فمعظم المسلمين محافظون من حيث القيم والمعاملات مما يضعهم مع الجمهوريين (الحزب الجمهوري) في قالب واحد. فمثلا الجمهوريون هم ضدّ المثليين من الجنسين ويوافقهم في ذلك المسلمون؛ ونفس الشيء يقال عن مواقف الطرفين المتشابكة حول حرية الجنس، والإباحية وتحرير المؤسسات الدينية من التقليد الديني الذي يحدّ من حرية المرأة في تولي القيادة الدينية والزعامة المؤسسية. وهذا كان ظاهرا في انتخابات عام ٢٠٠٠ حيث نال المرشح الجمهوري جورج بوش معظم أصوات المسلمين لمواقفه الدينية المحافظة.

وفي عام ٢٠٠٤م أحجمت غالبية المسلمين عن المشاركة في الانتخابات الرئاسية بين جورج بوش وعضو مجلس الشيوخ جون كيري وقد فسر البعض هذا الإحجام في كون نائب كيري يهوديا وهو عضو مجلس الشيوخ، جوزيف ليبرمان وهذا أيضا يزيد إشكالية أخرى. وهي أن الغالبية العظمي، قدر بـ ٨٠ في المائة، من يهود أمريكا ليبراليون وديمقراطيون مما يجمعهم مع المسلمين في صف واحد، فكيف إذا يوازي المسلمون بين الانتماءين وما تنتج عنهما من ضروريات التحالف و لتعاون مع الآخر سيبقي منبعا للتأزم القراري في مجال السياسة. ولابدّ للمسلمين في أمريكا من أن

يخلقوا فضاءا سليما للتعاون مع الآخرين يهودا كانوا أم غيرهم؛ فاليهود يمثلون نخبة فكريّة وطبقة غنية في أمريكا؛ فمبدأ معاداتهم سواء بني على تصور وهمي أم تراث ثقافي لا يخدم القضايا الإسلامية. ومعاداة الشخص بناء على جنس أم على العرق أم على اللون يعتبر خطا ثقافيا في أمريكا مثلما هو محرم في تعليم الإسلام السمحة. فاليهود مثل السود أو غيرهم ممن يعتبرون أنفسهم أقليات، منهم الصالح والطالح، منهم من يؤيد حقوق الفلسطينيين في إقامة دولتهم المستقلة، ومنهم من يعارضها، ومنهم من يسخّر منصبه وجاهه لخدمة قضايا المسلمين من منطلق الإيمان على ضرورة نجدة الأقليات، ومنهم من يعارضهم لهذا السبب أم لغيره. فعلى المسلمين إدراك هذه الفروقات والاتجاهات الفكريّة الموجودة داخل المجموعات، وعدم التعصب الأعمى في عملهم مع الآخر. ومعروف أنّ هذه لم تكن الحالة أثناء انتخابات الرئيس الحالي باراك حسين أوباما عام ١٩٩٨م، فقد حصل أوباما على ٩٠ في المائة من أصوات المسلمين، ولأوّل مرة يحصل فيها رئيس أمريكي على هذه النسبة العالية من أصوات المسلمين.[١] والسبب في هذا غني عن التبيين، ففشل الجمهوريين في حروب أفغانستان والعراق، وانهيار الاقتصاد أفقدهم معاقلهم التقليدية بين الأمريكيين.

وإشكالية أخرى مرتبطة عفويا بالحديث السالف هي الهوية السياسية:

فالمسلمون هم أقلية تتراوح بين خمسة إلى ستة ملايين نفر في معظم التقديرات، وفي بلد يصل تعداد السكان فيه إلى أكثر من ٣٠٧ مليون نسمة حسب تقديرات ٢٠٠٩م.[٢] إذن يصح القول، أنه في الإطار السياسي، مصالحهم متعاضدة مع مصالح الأقليات الأخرى، فالأقليات يمثلون جبهة واحدة وإن اختلفت أسباب

(1) Suhail Khan «America's First Muslim President.» In Foreign Policy. August 23, 2010.
(2) U.S. Census Bureau. July 2009.

كونهم أقليات. فقد يكون السبب عرقيا مثل الهنود الحمر، أم دينيا مثل اليهود، أم اتجاها سياسيا مثل الإباحية، أم أخلاقيا مثل المثليين. وسلامة الخبرة الديمقراطية تعتمد على قدرة الأقليات في أن يشاركوا في المجتمع كأعضاء متساويين مع الأغلبية دون توجس من إفشاء هوياتهم الحقيقية، وكذلك صمود الأقليات في مواجهة الأغلبية يتطلب التنسيق بين جبهاتها والتجاوز عن فروقاتها الشكلية، حينها تعترف الأغلبية بوجودها وتحتسب نتائج حرمانها من المشاركة والاعتراف.

هذا الوئام والتحالف مع الآخر «المختلف» يمثل إشكالية لكثير من المسلمين لمواقف بعضهم السياسية والأخلاقية تجاه الآخر. وقد ينتج مثلا رفض الاعتراف بحقوق المثلين في الحريات الفردية والاقتصادية إلى رضم هذا التحالف وخسارة الجانبين في وجه طغيان الأغلبية. ففي اجتماع سنوي للدائرة الإسلاميّة في شمال أمريكا (ICNA) في مدينة كليفلاند أوهايو عام ٢٠٠١م خرج بعض المحافظين المعارضين لهذا التجمهر الإسلامي في المدينة رافعين لافتات معارضة للإرهاب الإسلامي. وكان سبب معارضة المؤتمر السنوي أن شعاره كان «الإسلام من أجل السلام والعدالة: فلسطين: كشمير، وإمام جميل (مطالبين بالإفراج عن إمام جميل السجين في أطلنطا).»

وكان الذين خرجوا في مسيرة أخرى لمساندة المسلمين ومواجهة معارضيهم هم المؤيدون لحقوق المثليين من الذكور والإناث. وأذكر أنه في ذلك اليوم المطير أثناء خطبة الجمعة وكانت بعض بقايا المؤيدين للمسلمين مازالوا واقفين وراء الميدان العام الذي كان المسلمون يتجمهرون فيه لأداء صلاة الجمعة، هاجم الإمام الباكستاني الأصل المثليين واتهمهم بإفساد البلاد والعباد مذكرا إياهم بما آل إليه قوم لوط وثمود.

لم يكن موقفا مشرفا فيما أذكر، إذ شعر الجميع بمختلف مستوياتهم من التدينّ بالإحراج. ومثال آخر حدث في عام ٢٠٠٩م حيث ناضل طلاب جامعتنا لدعوة

رجل داعية إسلامي وبمساندة تجمعات طلابية أخرى على رأسها هؤلاء الداعمون لحقوق المثليين، وأثناء المداخلات بعد محاضرة ألقاها الإمام الضيف على جمهور من الطلاب، سئل عن الموقف اللائق تجاه المثليين فلم يتردد في عرض كشوف من قائمة العذاب التي تنتظرهم يوم القيامة مما أدّى إلى حدوث زوبعة بين الطلاب المسلمين واضطرار القيادة إلى معارضة الضيف من أعلى المنصة حفاظا على سمعة اتحاد الطلاب المسلمين بين طلاب الجامعة.

والإشكالية هذه ليست فقط فقهية لكنها أيضا سياسية، ففي عين الشارع الأمريكي أو إدارة الجامعة، أو الإعلامي الموضوعي، المسلم هو مثل المثلي فكلاهما أقلية ضدّ الموج الطاغي، فليس للمسلم أي مبرر لرفض المثلي إلا بقدر ما يبرر للآخرين رفضه. فالجامعات الليبرالية تتعامل مع كل الأقليات ككتلة واحدة، فتجد هذه الأقليات أيضا أن قوتها مكنونة في تعاونها مع بعضها البعض في مواجهة الموجات المعادية.

ومثال آخر في إطار الإشكاليات التي تواجه المسلمين، وهو مرتبط بهذا الموضوع، هو دعوة الأستاذة آمنة ودود إلى «جواز إمامة المرأة،» فقامت قيامة بعض المسلمين. والحدث سياسي أكثر منه ديني، والمحلل للحدث والذين صلوا الجمعة تحت إمامتها من الجنسين لم يخفوا رفضهم الواضح لسياسة المساجد في أمريكا. لأن تصرف معظم المسلمين في هذه المساجد هو إعادة فرز لواقع التدهور الفكري في المجتمعات الإسلامية التقليدية التي حولت فضاء المساجد إلى مساحات للرجال تستضيق بوجود النساء فيها، ولا تتردد على تكفير الأنثى لو رفضت الخضوع لقوامة الرجال في هذه المباني. فإذا كان الجانب الديني في هذا الحدث اجتهادي رأى فيه الجمهور أنه «لا تجوز إمامة المرأة» فالجانب الآخر منه سياسي فحواه أن المسلمين في أمريكا – وهذا في الغالب لا ينطبق على المساجد التي يديرها الأفروأمريكيين– يستخدموا المساجد كامتداد للواقع الاجتماعي لبلادهم الأصلية ولا تعكس جوا

تتساوي فيه الرجال والنساء.

ففي الذاكرة السياسية الأمريكية الفصل بين أية مجموعتين هو بداية المفاضلة النوعيّة بينهما. وكان مهندس الفصل العنصري في أمريكا جيم كرو (Jim Crow) أول من أوحى إلى بيض البلاد بعد نهاية الحرب الأهلية في منتصف القرن التاسع عشر، بأنّ أحسن وسيلة للسيطرة على السود هو الفصل بينهم وبين البيض في كل مرافق الحياة، ثمّ توفير ميزات معينة وتسهيلات نوعيّة لهذه المرافق، ومع مضي الوقت ظهر مجتمعان مختلفان من حيث الإمكانيات والاستعدادات والامتيازات، فلذلك جاءت المحكمة الفيدراليّة العليا عام ١٩٥٥ لتثبت أنّ الفصل والمساواة قيمتان لا تجتمعان في عالم بني الإنسان؛ وأنه حيث تفصل بين كيانين فإنما تبنيه على منظور الاختلاف والذي يقتضي المفاضلة، والمفاضلة بين الأجناس في المجتمع الحديث خلل لا يسنده القانون. فكثيرون من الذين يعارضون ضرب الحجاب في المساجد، وتخصيص الأماكن الورائية المختفية للنساء فإنما يفعلونه بناءا على الحاجة الماسة إلى خلق مجتمع مسلم في أمريكا تتمتع فيه المسلمات في المساجد بحقوق شبيهة بما يتمتعون بها خارجها سواء في الفصول أو المستشفيات أو المكاتب.

وبقدر ما يتأمرك المسلمون يكون بقدر ما يخضعون لتجارب البلاد الثقافيّة حيث تمكن النساء من الوقوف سواسية مع الرجال في المعابد والمحاكم والجامعات والمصانع، و غدا سيكون في المساجد. فهناك حاجة ماسة إلى تطوير فقه المعاملات بين مسلمي أمريكا يواكب العرف والخبرة والتجربة الأمريكية.

وفي ختام هذه القراءة تجدر الإشارة إلى أنّ معظم هذه الإشكاليات يمكن دمجها في مشكلة الازدواجية التي يعاني منها المسلمون تجاه العقلية و الخبرة الأمريكية، التي لا تترك شاردا ولا واردا إلا نقبتها وانتقدتها وحاول العبث بها. وكما أسلفنا فالعقلية الأمريكية مناهضة للتقليد، والإسلام في المذاهب السائدة مساند للتقليد، فينتج من هذا اللقاء نوع من الازدواجية في المعايير، فالواقع الأمريكي يتطلب من

المسلمين إفراز فقه جديد للإسلام، واجتهاد سديد في مجال المعاملات والأخلاقيات. فليس ضروريا أن يكون هناك صدام بين الإسلام ومعظم القيم الديمقراطية الأمريكية، ولكن بغياب اجتهاد وتسلط الجمود الاثني سيتحتم الصدام بين حياة المسلمين وواقع أمريكا.

وأنا لا أنفي وجود من يسعي جاهدا لخلق هذه الصورة من أعداء الإسلام في أمريكا. فأعداء المسلمين من المتطرفين الأيديولوجيين والمتطرفين الدينيين وأصحاب المصالح الإمبريالية كثر، ولا يبخلون في تسخير الإعلام وصناعة المؤامرات لخدمة أهدافهم، لكن في نفس الوقت يجب على المسلمين التمسك بقيم الإسلام السمحاء في الحبّ والمسامحة والمعاملة بالحسنى والعفو الذي هو أقرب للتقوى، و أنّه ، لا تزر وازرة وزر أخرى. و قد ناقشت فرص الإسلام في أمريكا في كتابي (Muslims in America: Race, Politics and Community Building) حيث ذكرت أنّ هناك مجالات كثيرة تتوافق فيها القيم الأمريكية مع القيم الإسلاميّة كما أنّ هناك مجالات اختلاف، والتركيز على الثاني على حساب الأولى لا يخدم الإسلام ولا المسلمين.

فمثلا لا يرى المحلل حوجة المسلمين إلى الإصرار في بناء المسجد في Ground Zero جنب بقايا هجمات ١١ سبتمبر، ليس لأنه لا حقوق لهم في ذلك، بل بالعكس - كما ذكر الرئيس أوباما - لهم «الحق القانوني في بنائه لكن سيخالفون الحنكة والحكمة في بنائه.» والسبب في هذا واضح جلي وهو أنّ ٧٠ في المائة من الأمريكيين بمختلف اتجاهاتهم، وانتماءاتهم و في كل الدراسات المسحيّة لآراء الناس لا يؤيدون بناء المسجد هناك؛ ونحن المسلمون أيضا أمريكيون ويجب ألاّ ننسى أن الديمقراطية قائمة على إرضاء الأغلبية واحترام مشاعرهم وآرائهم بقدر ما يحترمون حقوقنا و حرياتنا.